﴿قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [القصص: 49]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

إبطالُ حُجج المشركين وإثباتُ صدقِ النَّبيّ الأمين

لمّا ذكرتِ الآيةُ السّابقة اتّهامَ المشركين لموسى ومحمّدٍ عليهما الصَّلاةُ والسَّلام بأنَّهما ساحِران؛ جاءت هذه الآياتُ ردًّا لشُبَهِهم، فَذَكرت الحُجَّة الدّالَّة على صِدق محمّد ﷺ، فقال: ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَهْدَىٰ﴾: (هدى) أصلٌ يدلُّ على التّقدّم للإرشاد. وهَدَيتُه الطّريق هدايةً، أي: تقدَّمْتُه لأُرْشِدَه، والهُدَى: خِلاف الضّلالة[2]. وهذا المعنى هو المراد بتلك اللّفظة في هذا السّياق.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تعجيزُ المشركين، وتسجيلُ سفَهِهم وضلالِهم المبين

أمر الله نبيَّه أن يقول لكفّار مكّة: ائتوا بكتاب أهدى منَ التّوراة والقرآن، أتَّبعه إن كنتم صادقين في قولكم أنَّهما ساحِران، وهذا الأمرُ من باب التّعجيز وقطعِ الحُجج عنهم؛ لأنَّهم لا يستطيعون فعلَ ذلك.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

سِرّ فصلِ قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُواْ﴾ عمّا سبق:

أهميّةُ تلقين الله الجوابَ للنّبيّ ﷺ

فُصِلَت هذه الجملةُ عن قوله: ﴿قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾؛ لِما بينهما من شِبه كمالِ الاتِّصال، حيثُ أثارت جملةُ الاتِّهام سؤالًا في النّفس، يمكن تقديره: بماذا ردَّ عليهم النَّبيُّ ﷺ،

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 24/ 606.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (هدى).

أو ماذا قال لهم؟ فكان الجواب: ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ﴾.

بلاغة التَّعبير بالأمر بالقول:

إلـزام المشركين بـالإتـيـان بما يؤكّد زعمهم

دلَّ التَّعبيرُ بالأمر بالقول في قوله تعالى: ﴿قُلْ﴾ على نبوَّته ﷺ، وأنَّه مبلِّغٌ عن الله، وفيه إعلانٌ بإلزام المشركين بإتيان ما يُؤكِّد قولَهم في أنَّ الرّسول ﷺ ساحر، وكتابَه سحرٌ[1]. وممّا يُذْكر في سِرّ التَّعبير بالأمر بالقول أنّه بُطلانٌ لتقوّلهم واتهاماتِهم الكاذبةِ للرّسول ﷺ، ولكتابِه المُنزل عليه.

دلالةُ الفاء في قوله: ﴿فَأْتُواْ﴾:

إفحامُ المشركين وفضحُهم أمامَ أنفسِهم، تقريعًا لهم

الفاء في قوله: ﴿فَأْتُواْ﴾ فصيحةٌ، تُفْصِح عن شرطٍ محذوف مفهوم من كلام المشركين، في رميهم محمّدًا وموسى عليهما الصّلاة والسّلام بالسّحر، وإقرارِ كفرهم بهما، وهذا الشّرط المحذوف يمكن تقديره: فإن كان الأمرُ كما تدَّعون منَ السّحر والتّكذيب بالنّبوَّة؛ فأتوا بكتاب من عند الله.

بلاغةُ الأمر في قوله: ﴿فَأْتُواْ﴾:

إسكاتُ المعاندين وإفحامُهم، منهجٌ في الحِجاج مألوفٌ

الأمر في قوله: ﴿فَأْتُواْ﴾ أفاد معنى التّعجيز لمشركي العرب، فليس في مقدور المشركين أن يأتوا بكتاب من عند الله أهدى منَ التّوراة والقرآن، ولعلَّ إسكاتَهم وإفحامَهم بهذا الأسلوب التّعجيزيِّ، يجعلهم يعودون إلى رُشدهم. وفيه أيضًا دلالةٌ على التّهوين من أمرهم؛ لأنَّهم في موضع المأمور بالإتيان، ومع ذلك لا يستطيعون، فيكون ذلك تبكيتًا على تبكيت.

دلالةُ التَّعبير بالباء في: ﴿بِكِتَٰبٍ﴾:

تعجيزُ المشركين وتفنيدُ مزاعمِهم

دلَّتِ الباءُ في قوله: ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ﴾ بمعانيها المتعدِّدة،

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 5/ 498.

منَ الملابسة واللّصوق والتّعدية، على دعوة المشركين وتحدّيهم وتعجيزهم بأن يأتوا بكتاب من عند الله، مستصحبين إيّاه، يكون أفضلَ منَ التّوراة والقرآن.

دلالةُ وصفِ الكتاب بكونه من عند الله:

الثّناءُ والمَدح للقرآن والتّوراة، باعتبارهما وحيُ الله

دلَّ الوصف بـ ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ على مدح القرآن والتّوراة بأنَّهما كتابان من عند الله ﷻ[1]، وما دام مصدرُ الكتابين من عند الله، فلا يشكُّ عاقلٌ، أو ينكر منكرٌ، أنَّ سيّدنا محمّدًا وسيّدنا موسى صلوات اللهِ وسلامُه عليهما نبيّان مُرسلان منَ الله ﷻ، وأنَّ وصفَ المشركين لهما بالسّحر ما هو إلّا محض افتراء.

دلالة الإتيان بالضّمير ﴿هُوَ﴾:

تأكيد عجز المشركين عنِ الإتيان بما يُشبه الوحيَ المبين

في الإتيان بالضّمير ﴿هُوَ﴾ في قوله: ﴿هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ﴾ - وكان في الظّاهر جواز الاستغناء عنه - تحديدٌ دقيق، واهتمامٌ بهذا الكتاب الموصوف بكونه من عند الله، أن يكون أهدى منَ القرآن والتّوراة، فإذا استحال على المشركين الإتيانُ بهذا الكتاب، كان هذا تفنيدًا لزعمهم الفاسد، وإبطالًا لرأيهم الكاسد، وفيه تنبيهٌ على عجزهم عنِ الإتيان بمثله[2].

دلالةُ التّعبير بصيغة التّفضيل ﴿أَهْدَىٰ﴾:

تفنيدُ مزاعم المشركين وإبطالُ حُجَجِهم

آثرَ السّياقُ صيغةَ التّفضيل ﴿أَهْدَىٰ﴾، دونَ أن يقول مثلًا: (فَأْتوا بِكِتابٍ هادٍ)؛ لأنّ في صياغة التّفضيل إسكاتًا وإفحامًا عظيمًا للمشركين، لأنَّهم لا يستطيعون أن يأتوا بكتاب يماثل القرآنَ والتّوراةَ في الهداية، فهم عن هذا الأمر عاجزون، فلا شكَّ أنَّهم أشدُّ عجزًا عن أن يأتوا بكتابٍ أهدى منهما، وهذا ضربٌ لمزاعمهم، وردٌّ لطعونهم في النَّبيَّين الكريمين محمّدٍ وموسى عليهما الصّلاة والسّلام، وإبطالٌ لرأيهم في القرآن والتّوراة.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 139.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 24/ 606.

بلاغة التَّعبير بفعل الاتّباع:

إثبات عجز المشركين عن الإتيان بكتاب سماويّ

في التَّعبير بفعل الاتِّباع إيماءٌ إلى سُرعة الانقياد والاستجابة، لأنَّ في الاتِّباع معنى: التُّلوِّ والقَفْو. يُقالُ: تَبِعْتُ فُلانًا إذا تَلَوْتَهُ[1]. وهذا مبالغةٌ في التّعجيز؛ لأنَّ النَّبيّ ﷺ يعلم أنَّه ليس في مقدورهم فعلُ ذلك، "لأنَّه إذا وعدهم بأن يتَّبع ما يأتون به، فهو يتَّبعهم أنفسَهم، وذلك ممّا يوفّر دواعيَهم على محاولة الإتيان بكتاب أهدى من كتابه لو استطاعوه، فإن لم يفعلوا فقد حقَّ عليهم الحقُّ، ووجبت عليهم المغلوبيَّةُ، فكان ذلك أدلَّ على عجزهم عنِ الإتيان بمثله، وأثبتَ في إعجاز القرآن"[2].

دلالةُ التَّعبير بالفعل ﴿كُنتُمْ﴾:

تأكيد تأصُّل الكذب في المشركين

دلّ التَّعبيرُ بفعل الكينونة ﴿كُنتُمْ﴾ وهي للماضي على تأكيد وإثبات عدمِ صدقِ المشركين في زعمهم أنَّ هَذَين الكتابَين سِحْران، وأنَّ الحقَّ في غيرهما[3]، وأنَّهما كانا ساحِرَين[4]. وفي التَّعبير به دلالةٌ على أنَّ الكذب فيهم متأصِّلٌ، وأنَّه وقع منهم وتحققَّ ذلك المسلكُ في عنادهم للرّسل في دعواتهم.

إيثارُ التَّعبير بالاسميّة في ﴿صَٰدِقِينَ﴾:

الثّبوت أقوى في إظهار كذب المشركين

آثرَ القرآنُ الكريم التَّعبيرَ بالاسميّة ﴿صَٰدِقِينَ﴾، دون الفعليّة (صَدَقْتُمْ)؛ لأنَّ من طبيعة الاسم الدّلالة على اللّزوم والثّبوت، وصدقُ المشركين في رمي محمّد وموسى صلواتُ الله وسلامُه عليهما بالسّحر غيرُ واقع، فهم في هذا الرّمي مفترون ومختلقون؛ لذلك كان التَّعبير بالاسميّة في لفظ ﴿صَٰدِقِينَ﴾ أكثرَ إفحامًا لهم، وأظهرَ لكذبهم، ويكون المعنى: إن كنتم صادقين في زعمكم، وكان الصّدق

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (تبع).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 140.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 271.
(4) السّمرقنديّ، بحر العلوم: 2/ 612.

ملازمًا لكم، وثابتًا في أقوالكم، فأتوا بكتاب من عند اللّه أهدى منَ القرآن والتّوراة، ولن يأتوا به، فكان التَّعبير بالاسميّة أكشفَ لحالهم، وأفضحَ لنفوسهم.

دلالة حذف متعلّق ﴿صَٰدِقِينَ﴾:

تنزيه النَّبيَّين عن وصفهما بالسّحر

حُذِفَ متعلّق ﴿صَٰدِقِينَ﴾، والتّقدير: (إن كنتم صادقين أنَّ موسى ومحمّدًا ساحران)[1]، وهذا التّقدير مفهوم من السّياق، وحذف للعِلْم به، وقد سبق ذِكْره في قول المشركين: ﴿قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا﴾.

(1) السّمرقنديّ، بحر العلوم: 2/ 612.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والأربعون،
سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 41 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-92-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 41 : المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-92-1
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-2914887 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»